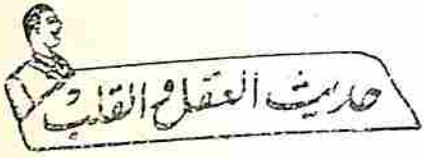

أدعيـــاء

بقلم الدكتور محمد مصطفى حلمى
أستاذ الفلسفة الاسلامية والتصوف بكلية الآداب - جامعة القاهرة

قال الشيخ المرشد لمريده المسترشد :

لعلك تذكر أننا بدأنا منذ حين ندير فيما بيننا حديث العقل والقلب وأننا جعلنا من الحقيقة وما تنطوى عليه من معانى الحق والخير والجمال موضوعا يجرى حوله هذا الحديث بلسان العقل وأنظاره تارة ، وبلسان القلب وأذواقه تارة أخرى . وأزيدك اليوم علما بأنه لاسبيل لك ولا لغيرك من أشباهك طلاب الحقيقة إلى فهم ما تنطوى عليه هذه الحقيقة من أسمى المعانى وأرقاها ، ولا من أصفى المبادى وأنقاها ، إلا أن يكون لكل منكم عقل يحقق ويدقق ، وقلب يستشعر ويتذوق وإلا أن يجتمع فى ظاهر كل منكم وباطنه هذا القلب وذاك العقل على تحقيق ما ينبغى أن يحققه الإنسان الخليق بمعنى الإنسانية ، من المثل العليا سواء فى حياته الشعورية النفسية أو فى حياته النظرية العقلية ، أو فى حياته الخلقية العملية ، وسواء فيما كان من هذا كله متصلا بسلوكه مع نفسه أو مع غيره من أشباهه أو مع ربه .

قال المريد المسترشد متسائلا :

وعلى أى وجه من أوجه الحديث سيدور حديثنا ؟ أسيكون على وجه مجرد نتحدث فيه عن المعانى مجردة على نحو ما يفعل الفلاسفة والصوفية ، أم أننا سنلتمس فهمها من خلال ما تتمثل فيه وتتصور به من حياة الأفراد والجماعات ، فى مختلف الظروف والملابسات ،

وعلى تباين البيئات والطبقات ؟

قال الشيخ المرشد مجيبا :

ليس من شك فى أن الأفراد والجماعات إنما يصدرون فى أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم عن أفكار تعمل عملها فى عقولهم من ناحية ، وعن عواطف تؤتى أكلها فى قلوبهم من ناحية أخرى ، وإذا كان ذلك كذلك فإن أقوم سبيل وأهدى طريق لمعرفة معانى الحقيقة معرفة واضحة جلية لاشبهة فيها ولا غبار عليها ، هى أن ننظر فى أنفسنا [illegible] س غيرنا وما تخفى ، وأن نحاول مما لدينا من وسائل التمحيص والتحليل ، ومما أتيح لنا من وسائل التفسير والتعليل أن نستشف ما تشتمل عليه هذه النفوس الإنسانية من عناصر تأتلف أو تختلف فى حظوظها من الإستقامة أو الانحراف ؛ ومن الإعتدال أو الإسراف ؛ ومن خضوع لقوانين النظر والعمل والذوق القويمة ، أو من خروج عليها وجنوح عنها وهذا يعنى بعبارة أخرى أن حياتنا وحياة أشباهنا ، وما ينشأ فى هذه الحياة وتلك من صلات ، وما يترتب على هذه الصلات من آثار وثمرات وما تتقوم به هذه الآثار والثمرات من خصائص ومقومات ؛ كل أولئك وأشياء أخرى تتصل به من قريب أو من بعيد ، ينبغى أن نعنى به ونقف عنده .

قال المريد المسترشد مستفسرا :

أفهم من هذا أنه لكى يكون حديثنا مجديا منتجا ، ولكى تكون نتائجه صحيحة مطابقة للواقع وملائمة لطبائع الأشياء ؛ فلابد من وقفات .

قال الشيخ مجيبا :

من الناس من لا يعرف من المصلحة إلا منفعته الشخصية الخاصة ، كم « من الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد » .

كل أولئك وكثير غيرهم من أدعياء العلم الذين يزعمون لأنفسهم

ولناس انهم من العلم فى كل شىء وهم فى الحقيقة ليسوا من العلم على شىء . ومن أدعياء الخلق الذين يخادعون الله والناس باسم الخلق وهم فى الواقع ليسوا من الخلق على شىء سنعرض لهم فى حديثنا . وسنبين لهم أين هم مما يدعون . وأين أقوالهم وأفعالهم مما يأتون ويدعون بحيث تستطيع أنت وأشباهك من المريدين الذين يطلبون الحقيقة على ماهى عليه فى ذاتها . لا على ماتبدو عليه أو تظهر فيه من حياة هؤلاء الأدعياء المخادعين : أن تضعوهم حيث ينبغى أن يوضعوا من دركات الجهل والضلال والهوان والزور والبهتان . وترفعوا غيرهم ممن ليس منهم إلى ما ينبغى أن يرفعوا إليه من درجات العلم والهدى والعز والصدق والكرامة .

قال المريد المسترشد متسائلا :

أفلا ترى ياسيدى أن حديثا من هذا الطراز وعلى هذا الوجه قد يحنق بعض الذين يجدون فيه مرآة يرون فيها أنفسهم ؟

قال الشيخ المرشد مغضبا :

ومن قال لك إن حق هذا الفريق من أدعياء العلم وأدنياء الخلق يعنينى فى شىء ؟ ألا ترى أنه ليس أضر بالعلم والخلق من أن يترك هؤلاء يعيثون فى العلم فسادا ويعبثون بالخلق إفسادا . يرددون ألفاظا وعبارات جوفاء . يوهمون بها السذج والبلهاء : ويتملقون بها العواطف والأهواء : ويتخذون منها سبيلهم إلى المآرب والغايات وما دروا أنهم إنما يعولون على سراب وأن الله قد كتب لهم أسوأ النهايات ؟

ثم ألا ترى معى بعد هذا كله أن الحق كل الحق إنما هو فى أن تقول كلمة الحق لوجه الحق ، وأن الخير كل الخير إنما هو فى أن تأتى الخير لوجه الخير ، وأنه ليس أدعى لرضا الله ولا أبعث على راحة الضمير من أن تكون فيما أنت بسبيله من إصلاح وهداية عند ما ينبغى أنه يصطنعه المصلح من صراحة وشجاعة بحيث يقول للمحسن أحسنت وللمسىء أسأت ، وبحيث يكشف عما فى نفس المحسن من أوجه الإحسان . وعما فى نفس المسىء من أوجه الإساءة

دون أن يخشى فى ذلك لومة لائم ، ولعله فيما يكشف عنه من نفوس الأدعياء المفسدين والأدنياء المسيئين لو جاهد أولئك وهؤلاء وأغلظ عليهم لكان أقوم طريقا وأهدى سبيلا . فإذا أردت بعلمك وعملك وقولك وجـــه الله فكن عقلا منزهاً عن الأغراض ، وكن قلبا مـــبرءاً من الأمراض ، وكن ضميرا مجردا عن النزوات والأهواء ثم قل بعد ذلك ماشئت لن تشتم فلا يكون قولك عند ذلك إلا حقا وصدقا . وها أنذا قد حدثتك اليوم ببعض ما أجـــد فى عقلى وقلبى ، وسأحدثك غدا وبعد غد بما سأجده من بعضه الآخر . وليس لى من وراء هذا كله من غاية إلا مجاهدة الأدعياء الضالين ، ومحاربة الأدنياء المضلين الذين يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ، وإلا وجه الحق المبين إرضاءً لضميرى وابتغاء لرضا رب العالمين .

محمد مصطفى حلمى

أحاديث الجواهر

* — يا من أظهر الجميل وستر القبيح .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : نزل جبريل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى أحسن صورة لم ينزل فى مثلها قط ضاحكا مستبشراً فقال السلام عليك يا محمد قال وعليك السلام يا جبريل قال إن الله بعثنى إليك بهدية كنوز من كنوز العرش أكرمك الله بها قال وما تلك الهدية يا جبريل فقال جبريل قل يا من أظهر الجميل وستر القبيح يا من لا يؤاخذ بالجريرة ولا يهتك الستر يا عظيم العفو يا حسن التجاوز يا واسع المغفرة يا باسط اليدين بالرحمة يا صاحب كل نجوى ويا منتهى كل شكوى يا كريم الصفح يا عظيم المن يا مبتدئ النعم قبل استحقاقها يا ربنا ويا سيدنا ويا مولانا وياغاية رغبتنا أسألك بالله الا تشوه خلقى بالنار . رواه الخاكرهو صحيح وأقره الذهبى .